GIEM

162

بلاغة القرآن الكريم في مصطلحات الأعمال:

الفعلُ يعلُوه العملُ ويعلُوهُما الصُنعُ

Volume No. 162, DECEMBER 2025 - JUMADA II 1447

بلاغة القرآن الكريم في مصطلحات الأعمال:

الفعل يعلوه العمل ويعلوهما الصنع

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

تتقارب معاني عبارات (فعل وعمل وصنع) ومشتقاتها، وللتمييز بينها لتحديد دلالاتها بدقة، لابد من وقفة تحليلية لاستخداماتها اللغوية والاصطلاحية.

أولاً – الفعل:

يكون (الفعل)، من الإنسان أو الحيوان أو الجماد، ويكون بعلم أو بغير علم، وبقصد أو بغير قصد.

لذلك:

- الفعل يُنسب للعاقل وغيره، كفعل الحيوان والإنسان والجماد.
- الفعل عام والعمل أخص منه والصناعة أكثر خصوصية منهما.
- الفعل هو إيجاد الأثر في النفس أو الشيء بشكل سريع، وقد يكون نافعًا أو غير نافع.

وأمثلته:

إن صفات الفعل متوافرة من حيث الزمن المباشر واحتمال عدم العلم وعدم القصد به.

- الفعل غير النافع، كقوله تعالى: **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ** (الشعراء: ١٩)، التي فعلت، إشارة إلى فعل موسى وهو القتل.
- الفعل النافع: كقوله تعالى: **وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (النحل: ٥٠)، إشارة إلى الملائكة وطاعتهم لله، وفعلهم دون تأخير.

وتُنسب بعض الأفعال للجماد، كالقول: هذا الدمار فعل الريح، أو هذا الحت فعل الماء. والإنسان أيضًا يفعل أحيانًا أشياء دون قصد أو بغير علم. قال تعالى في: **وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** (المؤمنون: ٤).

ذكر القرطبي: بأنهم مؤدون.

قال تعالى: **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** (يونس: ٣٦).

ذكر ابن كثير: إن الله عليم بما يفعلون من الكفر والتكذيب.

ثانيًا – العمل:

يكون العمل من الإنسان أو الحيوان دون الجماد، بعلم أو بقصد. لذلك:

- العمل يُنسب للعاقل على الأغلب، ونادرًا ما يكون لغير العاقل، لأن العمل يحتاج العقل والتدبير.
- العمل أخص من الفعل، والصناعة أكثر خصوصية منهما.
- العمل هو إيجاد الأثر في النفس أو الشيء بزمن ممتد.
- العمل مقصود ومعلوم لدى الفاعل الذي قام به، كقولنا: ذهبت إلى العمل، وأنا أعمل كذا.
- العامل يعلم ماهية مخرجاته على وجه التقريب والتقدير.
- العمل قد يشترك مع الفعل في المعنى العام.

وأمثلته:

يُلاحظ أن صفات العمل متوافرة من حيث امتداد الزمن والعلم والقصد به، وكذلك معرفة مخرجاته على وجه التقدير والتقريب.

قال تعالى: **لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ** (يس: ٣٥).

ذكر ابن كثير: وقوله: (**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**)، أي: وما ذاك كله إلا من رحمتنا بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس وقتادة. ولهذا قال: (**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**)، أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى. وهنا حالة اعتبار (مَا) النافية.

ذكر الطنطاوي: ويصح أن تكون (مَا) موصولة فيكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم، من هذه الثمار كالعصير الناتج منها، وكغرسهم لتلك الأشجار وتعهدها بالسقي وغيره، إلى أن آتت أكلها.

ذكر الشوكاني: وقوله: (**وَمَاعَمِلَتْهُأَيْدِيهِمْ**)، معطوف على ثمره، أي: ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والدبس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه على أن (مَا) موصولة، وقيل: هي نافية، والمعنى: لم يعملوه بأيديهم، بل العامل له هو الله.

قال تعالى: **وَجَاءَتْسَيَّارَةٌفَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْفَأَدْلَىٰدَلْوَهُۖقَالَ يَابُشْرَىٰهَٰذَاغُلَامٌۚوَأَسَرُّوهُبِضَاعَةًۚوَاللَّهُعَلِيمٌ بِمَايَعْمَلُونَ** (يوسف: ١٩)

ذكر الطنطاوي: قوله: (**وَاللَّهُعَلِيمٌبِمايَعْمَلُونَ**)، أي: لا يخفى عليه شيء من أسرارهم. ومن عملهم السيئ في حق يوسف. حيث إنهم استرقوه وباعوه بثمن بخس، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم. كما جاء في الحديث الشريف.

ذكر ابن كثير: قال محمد بن إسحاق: لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك، ينظرون ما يَصنع وما يُصنع به، فساق الله له سيارة، فنزلوا قريبًا من تلك البئر، وأرسلوا واردهم – وهو الذي يتطلب لهم الماء – فلما جاء تلك البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به.

ذكر ابن عاشور: الله عليم بما يعملون من استرقاق من ليس لهم حقّ في استرقاقه.

ثالثًا – الصنع:

يكون الصنع من الإنسان حيث العلم والإتقان والحذق، ولا يصح نسبته لغير الإنسان، فإن نُسب لجماد أو لحيوان فالأصل فيه أن الصانع هو الله تعالى لأنه خالق الحيوان والجماد. لذلك:

- الصناعة والصنع أدق في المعنى لأنها إجادة الشيء وإتقانه والقصد إليه وتدبيره.
- الصنع أكثر خصوصية من الفعل ومن العمل.
- الصانع يعلم ماهية مخرجاته على وجه الدقة.
- يشترك الصنع مع العمل، فيُقال: عمل النجار صناعته.

وأمثلته: يُلاحظ أن صفات الصنع متوافرة من حيث أن الصانع إنسان أو من صنع الله؛ امتداد الزمن والعلم والقصد به، وكذلك معرفة مخرجاته بدقة.

قال تعالى: **صُنْعَاللَّهِالَّذِيأَتْقَنَكُلَّشَيْءٍ** (النمل: ٨٨)، ومنه الصانع والصناعة والصنائع، فهي المهارة والاتقان في ما اختصت به.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (فاطر: ٨).

ذكر الطبري: يقول تعالى: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو مُحصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

ذكر ابن عاشور: عبّر ب (يَصْنَعُونَ)، دون: يعملون، للإِشارة إلى أنهم يدبرون مكائد للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فيكون هذا الكلام إيذانًا بوجود باعث آخر على النزع عن الحسرة عليه.

الصناعة مع الحيوان ومع الزراعة:

كما أوضحنا سابقًا، إن نُسب الصنع لجماد أو لحيوان فالأصل فيه أن الصانع هو الله تعالى، لأنه خالق الحيوان والجماد، وعليه:

– مع الأنعام: قال تعالى: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (النحل: ٦٦). صناعة اللبن تتم في بطن الأنعام بإتقان دون تدخل، قال تعالى: (نُّسْقِيكُم)، يستفيد منه الإنسان جاهزًا دون تدخل. وهذا للعبرة.

– مع ثمر النخيل والعنب: قال تعالى: وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (النحل: ٦٧). صناعة ثمر النخل والعنب تتم بالزرع دون تدخل، قال تعالى: (تَتَّخِذُونَ)، وهنا قد يتدخل الإنسان في صناعته ليكون (سَكَرًا وَرِزْقًا)، وعليه أن يُحسن في ذلك لتجنب الحرام المسكر. وهذا يحتاج عقلانية.

– مع النحل: قال تعالى: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل: ٦٨–٦٩). صناعة العسل وشهده تتم في بطون النحل بإتقان دون تدخل، قال تعالى: (أَوْحَى)، اتَّخِذِي، كُلِي، يستفيد منه الإنسان جاهزًا دون تدخل. وهذا يحتاج تفكير.

رابعًا – اشتراك (الفعل أو العمل) مع الصنع:

قد يبقى الفعل فعلاً مستقلاً، وقد يبقى العمل عملاً مستقلاً، ولكل منهما سماته ومخرجاته.

فإذا اجتمع أكثر من مصطلح، كالفعل والصنع أو العمل والصنع، فسيؤدي ذلك لمعنى أكثر خصوصية.

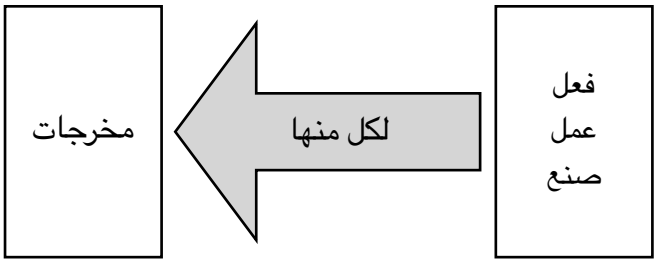

١- اشتراك الفعل مع الصنع:

إن مخرجات اشتراك الفعل مع الصنع معناه اشتراك صفات الفعل مع صفات الصنع، وذلك بأخذ السمات المشتركة، بكون الفاعل إنسان لديه علم وله قصد، وبذلك تتمثل بصناعة الموارد البشرية وتأهيلها وتربيتها والاعتناء بها، كقوله تعالى: **وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** (طه: ٣٩). وقوله: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** (طه: ٤١).

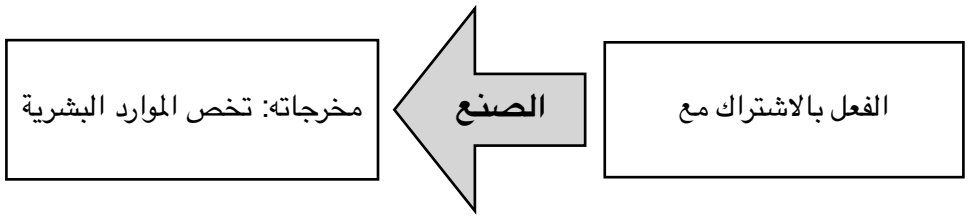

مسألة: قال تعالى: **وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** (طه: ٣٩).

ذكر الطنطاوي: قال صاحب الكشاف: ولتربّى ويُحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وتقول للصانع اصنع هذا على عيني إني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي.

ذكر القرطبي: قال النحاس: وذلك معروف في اللغة؛ يقال: صنعت الفرس وأصنعته إذا أحسنت القيام عليه. والمعنى ولتصنع على عيني فعلت ذلك.

مسألة: قال تعالى: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** (طه: ٤١).

ذكر القرطبي: قيل: (**اصْطَنَعْتُكَ**): خلقتك؛ مأخوذ من الصنعة. وقيل قويتك وعلمتك لتُبلِّغ عبادي أمري ونهيّ.

ذكر ابن عاشور: الاصطناع: صنع الشيء باعتناء. واللام للأجْل، أي لأجْل نفسي. والكلام تمثيل لِهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئًا لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه.

مسألة: قال تعالى: **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** (النور: ٣٠).

ذكر الطنطاوي: بعد أن نهى سبحانه عن دخول البيوت بدون استئذان. أتبع ذلك بالأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة إلا في الحدود المشروعة. وأضاف الطنطاوي: مُرهم أيها الرسول الكريم بالتزام ما أمرناهم به وما نهيناهم عنه، لأننا لا يخفى علينا شيء من تصرفاتهم، ولأننا أعلم بهم من أنفسهم، وسنحاسبهم على ما يصنعون فى دنياهم، يوم القيامة.

إذن، تلك الأفعال تصدر عن أناس، يعلمون مآلات أفعالهم، ومقاصدها، فإن التزموا بأمر الله ورسوله، بغض البصر وحفظ الفروج، فالمخرجات تزكية لأولئك الفاعلين، وحسن تربية، وانتهت الآية الكريمة بقول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**)، فالفعل منهم مؤداه أي مخرجاته صناعة تهذيب النفوس وتزكيتها أو فسادها.

٢- اشتراك العمل مع الصنع:

إن مخرجات اشتراك العمل مع الصنع معناه اشتراك صفات العمل مع صفات الصنع، وذلك بأخذ السمات المشتركة بكون العامل حاذق وماهر، وبذلك تتمثل مخرجات ذلك بصناعة الموارد المادية، كالأبنية والحصون والقصور وغيرها، كقوله تعالى: **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** (الشعراء: ١٢٩).

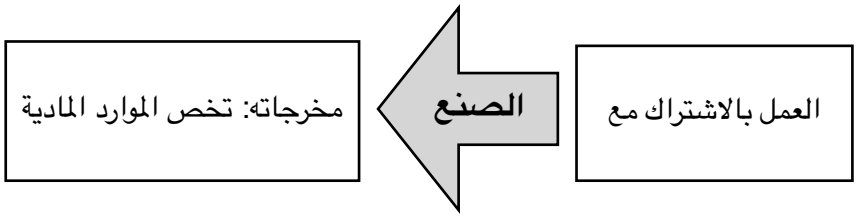

قال تعالى: **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** (سبأ: ١٣)، اشترك العمل مع الصنع، فكانت المخرجات محاريب وتماثيل وجفان وقدور. فالعمل مقصود، وعن علم، ويحتاج زمنًا لإنجازه.

وكل ذلك يحتاج وقتًا وعلمًا وقصدًا ومعرفة؛ بكيفية المخرجات بشكل دقيق.

قال تعالى: **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** (الصافات: ٩٥).

ذكر القرطبي: أتعبدون ما تنحتون، أي أتعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها. والنحت النجر والبري، نحته ينحته بالكسر نحتًا، أي: براه. والنحاتة البراية، والمنحت ما ينحت به.

قال تعالى: **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** (الصافات: ٩٦)

ذكر القرطبي: (ما) في موضع نصب، أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام، يعني الخشب والحجارة وغيرهما.

ذكر الطبري: في قوله: (**وَمَا تَعْمَلُونَ**)، وجهان: أحدهما: أن يكون قوله "ما" بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى "الذي"، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

ذكر ابن عاشور: والواو في (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**) واو الحال، أي أتيتم منكرًا إذ عبدتم ما تصنعونه بأيديكم والحال أن الله خلقكم وما تعملون وأنتم مُعرِضون عن عبادته، أو وأنتم مشركون معه في العبادة مخلوقاتٍ دونكم.

و (ما) موصولة و (**تَعْمَلُونَ**) صلة الموصول، والرابط محذوف على الطريقة الكثيرة، أي وما تعملونها. ومعنى (**تَعْمَلُونَ**) تنحتون. وإنما عدل عن إعادة فعل (تنحتون) لكراهية تكرير الكلمة فلما تقدّم لفظ (**تَنْحِتُونَ**) علم أن المراد ب (**مَا تَعْمَلُونَ**) ذلك المعمول الخاص وهو المعمول للنحت لأن العمل أعمّ. يقال: عملت قميصًا وعملتُ خاتمًا.

وخلقُ الله إياها ظاهر، وخلقه ما يعملونها: هو خلق المادة التي تصنع منها من حجر أو خشب، ولذلك جمع بين إسناد الخلق إلى الله بواو العطف، وإسنادِ العمل إليهم بإسناد فعل (**تَعْمَلُونَ**).

تدمير العمارة والمصانع والمزارع

قال تعالى: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (الأعراف: ١٣٧).

ذكر القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد: أي ما كانوا يبنون من القصور وغيرها، وقال الحسن: هو تعريش الكرم.

ذكر البغوي: (وَدَمَّرْنَا) أهلكنا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) في أرض مصر من العمارات، (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والثمار والأعناب.

ذكر ابن عاشور: ما شاده من المصانع، وإسناد الصنع إليه مجاز عقلي لأنه الآمر بالصنع، وأما إسناده إلى قوم فرعون فهو على الحقيقة العقلية بالنسبة إلى القوم لا بالنسبة إلى كل فرد على وجه التغليب. و (يَعْرِشُونَ) ينشئون من الجنات ذات العرايش. والعريش: ما يُرفع من دوالي الكروم، ويطلق أيضًا على النخلات العديدة تربّى في أصل واحد، ولعل جنات القبط كانت كذلك كما تشهد به بعض الصور المرسومة على هياكلهم نقشًا ودهنًا.

الحيل صنف من الصناعة

يمثل علم "الحيل النافعة" الجانب التقني المتقدم في علوم الحضارة الإسلامية؛ حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية للإفادة منها تقنيا في كل ما يخدم الدين ويحقق مظاهر المدنية والإعمار... وقد جعلوا الغاية من هذا العلم (الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير)، ويقصد به: استعمال الحيلة مكان القوة، والعقل مكان العضلات، والآلة بدل البدن[1].

قال تعالى: وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (طه: ٦٩).

[1] قنطقجي، د. سامر مظهر، فقه الابتكار المالي بين التثبت والتهافت، ط ٣.١، ٢٠١٦-٢٠٢٣، كاي للنشر، www.kantakji.com.

ذكر ابن عاشور: لا يَنجحُ الساحر حيث كان، لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثّر بها. واختير فعل أتى، لمراعاة كون معظم أولئك السحرة مجلوبون من جهات مصر.

وذكر ابن كثير عن **الفارق بين الصناعة حقيقة، والحيلة فيها**، قال: فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حقٌ لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كُن فيكون، فعند ذلك وقعوا سُجداً لله.

خلاصة القول: إن الله تعالى خالق كل صانع وصنعته

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته، فهو الخالق وهو الصانع سبحانه)**[1].

وروى حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ اللَّهَ يَصنعُ كلَّ صانعٍ وصنعتَهُ)**[2]، وروى حذيفة أيضًا: **(إنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِه)**[3].

بل إن الصنع يحتاج تعليمًا، والتعليم والعلم كلاهما بدأ من الله تعالى عزل وجلّ وهو العليم، فقال تعالى: **وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** (البقرة: ٢٨٢)، وهو تعالى: **بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (البقرة: ٢٨٢). وقال عن داوود عليه السلام: **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ** (الأنبياء: ٨٠)، وعن نوح عليه السلام: **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** (هود: ٣٧). فسبحان الله الذي: **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** (السجدة: ٧).

حماة (حماها الله) بتاريخ ٢٥ جمادى الأول ١٤٤٧ هـ الموافق ١٦ ت ٢/نوفمبر ٢٠٢٥ م

---

[1] ذكره الثعلبي. وخرّجه البيهقي من حديث حذيفة
[2] فتح الباري لابن حجر
[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم